

## إشكالية المفهوم والمقاربة في دراسات الأسرة

د. دحماني سليمان

جامعة تيزي-وزو

- **ملخص:** يُصادف الباحث في دراسات الأسرة عدّة مصطلحات أبرزها: القرابة-العائلة- الأسرة- الأسرة المعيشية. إن هذه المصطلحات تكون في غالب الأحيان غير دقيقة ولا واضحة في أذهان مستخدميها من الباحثين، ناهيك عن تباين وجهات النظر حول ماهية الأسرة، وبالتالي تباين المقاربات بين الدارسين الذين ينتمون إلى مختلف التخصصات في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، كالأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والديموغرافيا (علم السكان). وبناء على ما سبق، سوف نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى شرح المصطلحات الدالة على الأسرة، ونحاول تسليط الضوء على أهم المقاربات التي تناولتها.

**الكلمات المفتاحية:** الأسرة- الأسرة المعيشية- العائلة- القرابة- الأنثروبولوجيا- علم الاجتماع- الديموغرافيا.

- **Résumé:** Dans ses études sur la famille, le chercheur est confronté à plusieurs concepts tels que la parenté, la famille, groupe domestique et le ménage. Ces concepts sont dans la plupart du temps inexactes et ambiguës dans l'esprit des utilisateurs, parmi les chercheurs, et ce, sans compter la différence de points de vue sur la définition de la famille et par conséquent, la différence d'approches entre les chercheurs appartenant aux diverses spécialités dans le domaine des sciences humaines et sociales, à l'instar de l'anthropologie, la sociologie et la démographie. Compte-tenu de ce qui précède, nous envisageons à travers ce feuillet d'étude, d'explicitier les concepts renvoyant à la famille tout en tentant de porter la lumière sur les plus importantes approches qui l'ont traitée.

**Mots clés:** Parenté- Famille- Groupe domestique- Ménage- Anthropologie- Sociologie -Démographie.

- **Abstract:** In his studies on the family, the researcher is confronted with several concepts such as kinship, family, domestic group and household. In most cases, these concepts are inaccurate and ambiguous in the minds of the users, amongst the researchers, not to mention the difference of views on the definition of the family and, consequently, the different approaches among researchers belonging to the various specialties in the field of human and social sciences, such as anthropology, sociology and demography.

*In view of the above, we endeavor, through this study sheet, to explain the concepts referring to the family while trying to shed light on the most important approaches that have dealt with it.*

**Keywords:** kinship - Family- domestic group- Household- Anthropology- Sociology - Demography.

**-مقدمة:** الأسرة من أقدم النظم الاجتماعية، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق، وهي المؤسسة الأساسية المكلفة بإنجاب الأطفال وتنشئتهم اجتماعيا وثقافيا، وهي جماعة اجتماعية تتحقق في إطارها المودة والرحمة بين أفرادها.

وبالرغم من اختلاف نظام الأسرة من مجتمع إلى آخر، إلا أن هناك عددا من الخصائص والمميزات تشترك فيها الأنظمة الأسرية لعل أهمها: أن الأسرة ذات انتشار عالمي، فقد وجدت الأسرة في المجتمعات القديمة والمجتمعات الحديثة. كما وجدت في المجتمعات البسيطة والمجتمعات المركبة على السواء. وتعتبر الأسرة ثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية، وليست نتاجا للإرادة الفردية الواعية، فهي نظام تلقائي تؤدي إليه الاستعدادات الفطرية الكامنة في النفس البشرية النزاعة إلى الاجتماع.

وتعد الأسرة أصغر الأشكال المورفولوجية التي ينتمي إليها المجتمع، وتعكس الأسرة ثقافة هذا الأخير وطبيعته. وتتأثر الأسرة بالنظم الأخرى، كالنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الديني، والنظام القانوني، والنظام التعليمي، وتؤثر هي بدورها في هذه النظم وتتكامل معها. كما يمكن أن تتخذ الأسرة أساسا لإجراء الدراسات المتعلقة بمستوى المعيشة، أو بالظواهر الاجتماعية المختلفة، لذلك تعتبر وحدة إحصائية.

ولقد حظيت الأسرة باهتمام مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، لذلك تعددت تعاريفها، وتباينت المقاربات العلمية التي وُجّهت لدراستها.

**أولاً: مفهوم الأسرة:** عرف نخبة من المؤلفين كلمة "أسرة" في اللغة العربية تعني " الدَّرْعُ الحَصِينَةُ، وَأَهْلُ الرَّجُلِ وَعَشِيرَتِهِ، وَتُطَلَّقُ عَلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي يَرِبُطُهَا أَمْرٌ مُشْتَرَكٌ، وَجَمَعُهَا أُسْرٌ".

ويرى حطب(1976) أن "كلمة أسرة تحمل في معناها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، حينما كان الناس مرتبطين بالقبائل والعشائر والبطون (...). ومن هنا يبدو أن كلمة أسرة هي في نطاق معنى الفعل أسر، ولعلها صيغة أخرى للفعل أزر بمعنى ناصر وقوى وشدد بتبديل السين بالزاي، وهذا أمر معروف وكثير الحدوث في اللغة العربية".

أما علي الشوك فيرى "أن كلمة "أسرة" مشتقة من الفعل أسر(...). وذكر الشوك أيضا أن اقتران مفهوم الأسرة بالأسر والعبودية لا يقتصر على اللغة العربية وحدها، بل نجده في اللغات الأكادية والآشورية والعبرية والسريالية والصينية، وفي اللغة اللاتينية تعني كلمة "Famulus" العبد وكلمة "Familia" تعني مجموعة العبيد التابعة لرجل واحد" (أورد في: بركات، 2000).

كما نجد في اللغة العربية كلمة أخرى تطلق على التجمع المنزلي، ألا وهي: عَائِلَةٌ (عَائِلَةٌ بالعامية)، ولقد اشتقت هذه الكلمة بتحويل اسم الفاعل (عَائِلًا) إلى اسم مفعول (عَائِلَةٌ)، إذ أنه من الناحية اللسانية عندما نحول اسم الفاعل من مذكر إلى مؤنث، نحول دلالته من اسم فاعل إلى اسم مفعول. وتعد هذه الكلمة من أكثر الألفاظ استعمالا للدلالة على التجمع المنزلي في الوطن العربي.

ويميز حطب (1976) بين لفظ "أسرة" ولفظ "عائلة" بقوله: "أما كلمة عائلة فمستحدثة مشتقة من فعل عال وتكشف لنا عن المعنى المراد بها، كونها مجموعة من الأفراد الذين يعيّلهم معيل أو كاسب".

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن أي من الكلمتين (أسرة-عائلة)، لم تردا في القرآن الكريم والسنة النبوية، إنما جاء التعبير فيهما عن الأسرة بألفاظ أخرى مثل "بيت" و"أهل".

هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية الاصطلاحية، فيشير كل من بونت وإيزار (2006) إلى صعوبة تعريف الأسرة الإنسانية، "فهي تبدو جزءا من نظام الطبيعة، الأمر الذي يكسبها طابعا كونيا، خاصة بشكلها الأساسي ذي النمط الزوجي، المعرف باتحاد معترف به اجتماعيا بين رجل وامرأة يعيشان مع أولادهما (...). ولكن من المثير للاهتمام إذ نلاحظ بأنه على الرغم من كون المؤسسة العائلية حيوية وضرورية وشاملة ظاهريا، لا يوجد لها تعريف محدد، كما هي الحال بالنسبة للزواج".

وبغض النظر عن هذه الصعوبة، سوف نحاول فيما يلي أن نستعرض أشهر التعريفات للأسرة.

يعرف عالم الانتروبولوجيا (MURDOK) الأسرة بأنها: "جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة، وطفل سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني" (أورد في: وصفي، 1971). ويعرف (OGBURN et NIMCOFF) الأسرة بأنها "رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال، أو زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها. وقد تكون الأسرة أكبر من ذلك بمعنى أنها تشمل بالإضافة إلى الأفراد السابقين أفراد آخرين كالجدة والأحفاد وبعض الأقارب شريطة أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوج والزوجة والأطفال أو بدونهم" (أورد في: عبد العاطي، 1999).

أما (Burgess et Loocke) فقد عرفها على أنها: "جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم والتبني ويعيشون معيشة واحدة ويتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج والزوجة، والأم والأب والأخ والأخت، ويشكلون ثقافة واحدة مشتركة" (أورد في: نخبة من أساتذة علم الاجتماع، د.ت).

وأما (Bell & Vogel) فعرفا الأسرة على أنها: "وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة اجتماعية مع أطفالهما، ونظرا لأن بعض الأطفال في الأسرة يصبحون أبناء فيها عن طريق التبني في بعض المجتمعات فلا يلزم أن يكون الأطفال مرتبطين بيولوجيا بالأسرة" (أورد في: منصور يوسف علي، 1999).

أما Williams (1970) فيرى أن الأسرة هي: "المؤسسة الاجتماعية التي تشمل رجلا أو عدد من الرجال يعيشون زواجا مع امرأة أو عدد من النساء، ومعهم الخلف الأحياء وأقارب آخرين وكذلك الخدم".

وهكذا يتبين أن التعاريف السابقة تختلف في تحديد ماهية الأسرة، لكننا نستطيع أن نستخلص من خلالها أن الأسرة تقوم على علاقة جنسية بين رجل وامرأة على الأقل يعترف بها المجتمع، كما تقوم على مصطلحات بموجبها يتعين النسل والنسب، بالإضافة إلى الإقامة المشتركة للزوجين وأبناهما.

**ثانيا: الأسرة ومقارباتها:** يظهر الاختلاف جليا بين العلوم الاجتماعية التي تشترك في دراسة الأسرة، وعلى رأسها الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والديموغرافيا، لأن كلا من هذه النظم الفكرية تتبنى مقاربة خاصة تتناول من خلالها إلى هذه الوحدة الاجتماعية.

ففي علم الاجتماع، تعد الأسرة وفق كل من بونت وإيزار (2006) جماعة منزلية، أي جماعة اجتماعية تُكوّن وحدة بنائية داخل المجتمع، أو بالمفهوم الإثنوغرافي القريب الذي يعني: "مجمّل أفراد ينجزون بشكل مشترك ويومي

مهمات إنتاج ضرورية لبقائهم ويستهلكون معا منتجات عملهم". وغالبا ما يكون التعبير عنها بمصطلح الجماعة المنزلية (groupe domestique) .

وفي الديموغرافيا يرى عبد العاطي وآخرون (1999) أن المشاركة تكون في السكنى والاستقلال الاقتصادي المنزلي المحكان الأساسيان لتعريف الأسرة، ويطلقون عليها الأسرة المعيشية (ménage)، "ويقصدون بها أي وحدة اجتماعية مكونة من شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، تكفل لنفسها استقلالاً اقتصادياً سواء انطوت هذه المجموعة على أطفال أو اقتصر على عنصر الرجال فقط".

أما في الأنثروبولوجيا، فينظر إلى الأسرة على أنها مجموعة من الأشخاص، يرتبطون فيما بينهم بواسطة الزواج والنسب، أي الوحدة القرابية، ويكون التعبير عنها غالبا بمصطلح القرابة (parenté).

ويرى غودي (2008) "أن التقسيم الشائع بين الأسرة (السوسيولوجيا) ورابطة القرابة (الأنثروبولوجيا) ليس مجرد فصل بسيط على مستوى الميادين الأكاديمية، بل هو ينطوي على أحكام مستترة تجنح إلى تشويه ما نفعله وما نفكر فيه (...). إن هذا المفهوم للفصل بين القرابة والأسرة لا يتولد بفعل تطور التخصصات الأكاديمية لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وحدها. لقد كان قائماً في فترات أبعد كثيراً، بل يرجع في أساسياته أيضاً إلى موقف "نحن" و"هم"، بالذات إلى الدهشة الشديدة التي انتابت جميع الفئات البشرية عندما واجهت ممارسات، جماعات بشرية مختلفة عنها".

أما على مستوى دراسات الأسرة في الوطن العربي، فهناك خلاف بين الباحثين حول الأطر النظرية التي تحكم هذه الدراسات وتوجهها، والخلاف قائم حتى في سَمِّها هل هي رؤى أم مقاربات؟ كما يظهر في محاولتين النقديتين للبيب وقبانجي اللتين نشرتا في مجلة المستقبل العربي ضمن ملف تحت عنوان

"الأسرة العربية: رؤى ومقاربات"، عام 2004 فالأول يقدم ثلاث رؤى ويقسم كل واحدة منها إلى مجموعة من المقاربات على النحو الآتي:

- الرؤية التماسكية: ويعتبرها لبيب (2004) "رؤية وظيفية أساسا تقوم على تبرير التراتب والأدوار في الأسرة بالرباط المصلحي أو القيمي بين أفرادها ويعتبارها جسما يحتاج إلى التماسك والانسجام". ويدرج الكاتب ضمن هذه الرؤية مقاربتين متشابهتين: المقاربة الدينية التي تركز على دور القيم الدينية الإسلامية في تماسك الأسرة، والمقاربة التنشئية التي تركز على وظيفتي التربية، والتطبيع الاجتماعي اللتين تحتكرهما الأسرة في المجتمع الإسلامي.

- الرؤية البنيوية (البطركية): وهنا يشير الكاتب إلى الجهد النظري الذي أسهم به هشام شرابي في بناء نموذج تحليلي -تفسيري يدور حول "الأبوية/البطركية" باعتبارها مقولة تشير إلى بنى كلية (مجتمع/دولة/اقتصاد)، وبنى جزئية (الأسرة/الشخصية الفردية).

- الرؤية التطورية: ويرى أنها قائمة في جل الأعمال حول الأسرة العربية، ويؤكد أن "أغلب الدراسات العربية عن الأسرة في المجتمع العربي بما فيها ذات الاهتمام بالبعد الاجتماعي، تهدف بطريقة أو أخرى إلى إبراز التطور وإلى تحديد بعض مراحلها سواء كان ذلك على الصعيد العربي أو على الصعيد المحلي".

ويميز داخل هذه الرؤية بين مقاربتين هما: المقاربة التاريخية الاجتماعية، التي تركز على التاريخ الاجتماعي، والمقاربة السوسيولوجية ذات النزعة الامبريقية.

أما الثاني أي قبانجي (2004) فيستعرض مجموعة من المقاربات من دون الإشارة إلى الرؤى كما يلي:

- المقاربة التطورية: ويمكن دراسة التركي وزريق (1995) الموسومة بـ"تغير القيم في العائلة العربية" التي تعتمد على مواكبة التطور في الاقتصاد

السياسي في المنطقة بداية بالقرن التاسع عشر. فمنذ ذلك الحين مرت المنطقة بتحولات سياسية مهمة يتطلب الأمر النظر في تفاعلها مع القيم الاجتماعية وتأثيرها في نمط العائلة وبنائها وطبيعة العلاقة فيها." (أورد في: تركي وزريق، 1995). وترى في تغير البنية الإنتاجية، والتحضر وانتشار التعليم، والهجرة، العوامل الأساسية للتغير الاجتماعي في الوطن العربي.

- **المقاربة البنوية الوظيفية:** وهنا يلتقي قبانجي مع لبيب في تسميته لهذه المقاربة، وفي إشارته إلى عمل شرابي حول السلطة الأبوية والتهديدات التي تقع عليها، كالتحصيل العلمي للأبناء واستقلالهم الاقتصادي، وتحرر المرأة.

- **المقاربة الفيبرية:** ويتخذ الكاتب من دراسة مي يماني حول "هويات متغيرة:

تحدي الجيل الجديد في السعودية "مثالا لها، وتفترض هذه الأخيرة أن "الطريقة المثلى التي يتم فيها تصوير المدى الذي تحول فيه المجتمع السعودي والمرجعيات الثقافية إلى حياة السعوديين العاديين، هي أن نأخذ "نموذجاً مثالياً"، وفي هذه الحالة حياة أسرة سعودية نموذجية." (أورد في: قبانجي، 2004). وتستعرض هذه الدراسة أيضاً عوامل تغير القيم العائلية، كالحداثة والانفتاح على العالم الخارجي بواسطة الإعلام والشبكة العنكبوتية، وكذلك الانخراط في السوق العالمية.

- **المقاربة النسوية:** "وتقوم هذه المقاربة أساساً حسب قبانجي (2004) على تعيين موضع الفتاة، أو المرأة في إطار العلاقة العائلية: فهذا التعيين يسمح لها بتحديد الهيكل التراتبي الأسري الذي يحكم وضع المؤنث في نهاية السلسلة السلطوية الأبوية - الذكورية". ويقدم الكاتب دراسة "بلا حشومة: الجنسانية النسائية في المغرب" لسمية نعمان جسوس نموذجاً لها.

**-خاتمة:** تبين من خلال العرض السابق، أنه ليس هناك تعريف دقيق وشامل لوصف الأسرة الإنسانية، بالنظر إلى أن هذه الأخيرة تتضمن عناصر اجتماعية وثقافية، تختلف عبر الزمان وعبر المكان. وتبين أيضا أن المقاربات المستعملة في دراسة الأسرة تختلف باختلاف التخصصات الأكاديمية، فنجد مثلا المقاربة السوسولوجية القائمة على مفهوم الجماعة المنزلية، والمقاربة الديموغرافية التي تركز على مفهوم الأسرة المعيشية، والمقاربة الأنثروبولوجية التي تتخذ من مفهوم القرابة أساسا لها.

هذا على صعيد المنظور العام، أما على صعيد المنظور الخاص (أي في الوطن العربي) فهناك في اللغة العربية لفظين للتعبير عن التجمع المنزلي ألا وهما: "الأسرة" و"العائلة"، ويتم استخدامهما في الواقع المعيش، وكذا من قبل الباحثين من دون تمييز في غالب الأحيان، بالرغم من اختلاف دلالتهما. أما بخصوص المقاربات المستخدمة في دراسات الأسرة العربية، فقد وضح التحليل الخلف القائم بين باحثين اثنين هما الطاهر لبيب ويعقوب قبانجي، حول عدد وطبيعة الأطر النظرية التي تحكم هذه الدراسات، وكل هذا يعكس وضعا مضطربا من الناحية النظرية والمنهجية في هذا المجال.

### - قائمة المراجع:

- 1- التركي، ثريا وزريق، هدي. (1995). تغير القيم في العائلة العربية. سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية. رقم 21. عمان: اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا.
- 2- بركات، حليم. (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 3- بونت، بيار وإيزار، ميشال. (2006). معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 4- حطب، زهير. (1976). تطور بنى الأسرة العربية والجدور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة. بيروت: معهد الإنماء العربي.

- 5- عبد العاطي، السيد وآخرون. (1999). علم اجتماع الأسرة. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- 6- غودي، جاك. (2008). الشرق في الغرب. ترجمة محمد الخولي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 7- قبانجي، يعقوب. (2004). "منظومة القيم العائلية في الوطن العربي: محاولة نقدية". المستقبل العربي: 27 (308): 103-128.
- 8- لبيب، الطاهر. (2004). "الأسرة العربية، مقاربات نظرية". المستقبل العربي: 27 (308): 79-102.
- 9- منصور يوسف علي، أميرة. (1999). في قضايا السكان والأسرة والطفولة. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- 10- نخبة من أساتذة علم الاجتماع. (د.ت). المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.
- 11- نخبة من المؤلفين. (د.ت). المعجم الوسيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 12- وصفي، عاطف. (1971). الأنثروبولوجيا الثقافية. بيروت. دار النهضة العربية.
- 13-Williams, E. (1970). Dictionnaire de sociologie. Paris. M. Rivière.